علم الجرح والتعديل: أهميته، نشأته، مشروعيته
مراتب الجرح والتعديل والفاظها

بسم الله الرحمن الرحيم

أهميته علم الجرح والتعديل

دلت قواعد الشريعة الكلية على منزلة السنة النبوية وعظيم مكانتها فهي مصدر التشريع الثاني بعد القرأن الكريم فوجب حفظها على المسلمين، وبيان أحوال الرواة وتتبع مسالكهم في مختلف أحوال حياتهم، وإدراك مقاصدهم، وأغراضهم وطبقاتهم والأحفظ منهم، والأضبط والاكثر مجالسة لما فوقه ممن كان أقل مجالسة، معرفة تمكن أهل العلم من الحكم بصدقهم، أو كذبهم، وبيان ثقاتهم من ضعافهم ثم تمييز المقبول من المردود من مروياتهم سبيل قويم لحفظ السنة وصيانتها وكان ذلك دافعا عظيما لنشأة علم من اهم أنواع علوم الحديث، وأعظمها شأناً وأبعدها أثراً، إذ به يتميز الصحيح من السقيم، والمقبول من المردود، وضعت له العلماء ضوابط وقواعد رصينة فكان ميزانا، ومقياساً دقيقاً ضبطت به أحوال الرواة حتى عُدَّ هذا العلم نصف علم الحديث؛ وكيف لا وهو ميزان رجال الحديث ومعيار الحكم عليهم، وهو الحارس للسنة من كل زيف ودخيل .

نشأة علم الجرح والتعديل وتدوينه

نشأ هذا العلم مع نشأة الرواية في الإسلام، وقد ثبت عن النبي(صلى الله عليه وسلم)، وعن كثير من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، الكلام في الرجال جرحًا وتعديلاً تورعًا وصونًا للشريعة من أن يدخل فيها ما ليس منها، ونصيحة لله ورسوله والمسلمين، وليس هو طعنًا في الناس، فكما جاز الجرح في الشهود، جاز في الرواة، والتثبت في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والأموال، والكلام في الرواة يحتاج إلى ورع تام وبراءة من الهوى والميل وخبرة كاملة بالحديث وعلله، فلا بدَّ ان يكون الناقد واسع الاطلاع على الأخبار المروية، عارفًا بأحوال السابقين، وطرق الرواية، خبيرًا بعوائد الرواة ، ومقاصدهم وأغراضهم، وبالأسباب الداعية إلى التساهل والكذب، والموقعة في الخطأ، مع معرفة بأحوال الراوي وتاريخه، وبلده، وديانته وسلوكه، وشيوخه وتلاميذه، ومقارنة مروياته بمرويات غيره، وغير ذلك، وهذه مرتبة بعيدة

المرام، عزيزة المنال، لم يبلغها إلاَّ النقاد الحاذقون الذين تصدوا لهذا الأمر الجليل وقاموا بواجبه حسبة لله وصيانة لدينه ولما كان الكلام في الرواة ذو شأن كبير، فإن من نتائجه قبول الحديث أو رده، وقبول الحديث يعني قبول ما يفيده من تحليل أو تحريم، أو أمر أو نهي، وإدخال ذلك كله في دائرة الشرع، ثم إن جرح الرواة جرح لا يندمل ويبقى سبة مدى الدهر، كانت الحاجة ماسة ان يحاط هذا الفن بسياج من الضوابط والقواعد والآداب تقي صاحبها من الزلل والشطط والمحاباة والمغالاة وتمنعه ان يميل عن الحق تأثراً بالحب أو البغض أو التنافس والتباغض بين الأقران، فإن كان كلامه في الرواة منضبطا بتلك القواعد كان مقبولا وإلا كان من قبيل الكلام المهدر الذي لا يلتفت إليه، واصبحت تلك الضوابط أحد أنواع علوم الحديث.

ولما جاء القرن الثالث أسعد عصور السنة وأزهاها؛ إذ نشطت فيه الرحلة لطلب العلم ونشط فيه التأليف في علم الرجال، وتُوسِّع في تدوين الحديث، فظهرت كتب المسانيد والكتب الستة، وغيرها من دواوين الإسلام. ترعرع علم الجرح والتعديل وصنفت فيه الكتب ودونت فيه لمحات منه وبرز في هذا العصر الكثير من الحفاظ والنقاد من أمثال: أحمد ابن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، والبخاري، ومسلم ، وأبو زرعة، وأبو حاتم وغيرهم كثير، ممن كان على أيديهم تأسيس كثيرٍ من علوم الحديث عموماً وعلم الجرح والتعديل خصوصاً ثم اتسعت حركة التاليف في نقد الرجال، وتعليل الاحاديث، وتوالى ظهور التصانيف المبسوطة، التي تضم أكثر أقوال أئمة الجرح والتعديل في أكبر عدد من الرواة حتى سطع في القرن السابع نور رجلين الامام المزي سفره الرائع تهذيب الكمال، والذهبي وكتبه ميزان الاعتدال والمغني والكاشف، ثم ختم بالمسك على يد الحافظ ابن حجر في كتابيه لسان الميزان، وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب ، وجاء من بعده السيوطي والسخاوي فنهجوا منهج من سبقهم بالتهذيب والاختصار، هؤلاء العلماء الامناء خدموا هذا العلم وتصدوا لدراسة أحوال الرجال قبولا وردا فكانوا ائمة الهدى، ذبوا عن السنة تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وبذلوا الجهد والوقت لهذا العلم المشرف، فنالوا شرف الدفاع عن سنة المصطفى(صلى الله عليه وسلم).

تعريف علم الجرح والتعديل

تعريف الجرح لغةً: هو التأثير في البدن بشق أو قطع، واستعير في المعنويات بمعنى التأثير في الخُلُق والدين بوصف يناقضهما.

واصطلاحاً: وصف الراوي بما يقتضي رد روايته.

وتعريف التعديل لغةً: هو التقويم والتسوية، واستعير في المعنويات بمعنى الثناء على الشخص بما يدل على دينه القويم وخلقة السوي.

و**اصطلاحاً:** وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته.

فعلم الجرح والتعديل النظري: هو القواعد التي تنبني عليها معرفة الرواة الذين تقبل رواياتهم أو ترد ومراتبهم في ذلك.

وعلم الجرح والتعديل التطبيقي: هو إنزال كل راوٍ منزلته التي يستحقها من القبول وعدمه .

صفات وشروط الجارح والمعدِّل

١- أن يتصف بالعلم والتقوى والورع والصدق.

٢- أن يكون عالمًا بأسباب الجرح والتعديل منصفا.

٣- أن يكون عالمًا بتصاريف كلام العرب .

٤-ان يكون بريئًا من التعصُّب والهوى، والميل إلى الدنيا.

مشروعية علم الجرح والتعديل

لا يعد من الغيبة المذمومة وتستمد مشروعيته من أدلّة القرآن والسّنة والاجماع:

من أدلة القرآن:

قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ وقوله تعالى:﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾. التثبت في أمر الدين، أولى من التثبت في الحقوق والاموال، وليس نقل الحديث وروايته بأقل من الشهادة، لهذا لا يقبل الحديث إلاّ من الثقات .

ومن أدلة السنة:

-عن عائشة(رضي الله عنها) قالت: إنّ رجلا استأذن على النَّبي(صلى الله عليه وسلم) فقال: ائذنوا له، بئس أخو العشيرة " **فيه دليل على مشروعية الجرح.**

-عن حفصة(رضي الله عنها) عن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال: " نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل" **فيه دليل على مشروعية الجرح التعديل.**

الاجماع

فقد أجمع أئمَّة الحديث قاطبة على أنّ جرح الرواة وأهل البِدع والفسَّاق لا يُعدُّ من الغِيبة المحرَّمة، بل هو واجب ومستحبّ عند الحاجة.

مراتب الجرح والتعديل، وألفاظها عند الحافظ ابن حجر

جعل الحافظ ابن مراتب الجرح والتعديل اثنتي عشر مرتبة، ونسوردها هنا بحسب قوة ضبط الراوي وقبول روايته والاحتجاج بها:

المقبول حديثهم:

١- ذكر الصحابة لشرفهم وانهم كلهم عدول، إما من حيث الضبط فانهم يتفاوتون.

٢- ما دل على المبالغة في توثيقه كقولهم:(فلان إليه المنتهى في التثبت)، أو جاء على صيغة أفعل كقولم :(فلان أثبت الناس) أو بتكرار الصفة لفظاً : كثقة ثقة، أو معنى: كثقة حافظ.

٣- ما دل على التوثيق وأفرد بصفة: كثقة ، أو متقن ، أو ثبت.

وهذه المراتب الثلاثة يُصنَّف حديث رواتها في قسم الصحيح.

٤- ما دَّل على العدالة مع الإشعار بخفة ضبطه وقصّر عمن قبله قليلاً: كصدوق ، أو لا بأس به ، أو ليس به بأس، صالح الحديث، يكتب حديثه، مَحلهُ الصدق.

وهذه المرتبة يُصنف رواتها من قبيل الحديث الحسن.

من لا يحتج بحديثهم على الانفراد، وإنما يصلح للشواهد والمتابعات.

٥- ما دَّل على العدالة، مع الدلالة على خفة ضبطه مثل : صدوق سيء الحفظ ، او صدوق يهم ، أو صدوق يخطأ، او له اوهام ، أو تغير بأخره .

٦- ما دل على التعديل فقط، ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من اجله، وليس له من الحديث إلا القليل، ويشار اليه: **بمقبول** حيث يتابع ، وإلاّ فلين الحديث .

٧- من روى عنه اكثر من واحد ولم يوثق، ويشار إليه **بمستور** .

٨- من لم يوجد فيه توثيق معتبر، وجاء فيه تضعيف وإن لم يبين، والإشارة اليه **بضعيف**، أو يُضّعف، أو تُكلّم فيه، أو سيء الحفظ .

من لا تقبل روايتهم :

٩- من لم يرو عنه غير واحد ولم يوثق، ويقال فيه : مجهول.

١٠- من لم يوثق وضعف مع ذلك بقادح ، أو صُرِّح بعدم كتابة حديثه، ويقال فيه : متروك الحديث، أو ساقط ، ونحوها.

١١ - من اتهم بالكذب ونحوه ، ويقال فيه : متهم ، أو ومتهم بالكذب.

١٢ - من اطلق عليه اسم الكذب أو الوضع: مثل كذاب، أو وضاع ، أو يضع

وهذه المراتب (الاربعة) لا يُحتج برواتها ولا يُبحث لهم عن شواهد ومتابعات واحاديثهم مردودة، ولا تنجبر

قواعد في علم الجرح والتعديل

القاعدة الأولى: ثبوت العدالة لا يقتضي الضبط.

مثال: (فرقد بن يعقوب السبخي).

قال يحيى بن معين: ليس بذاك.

وقال أحمد بن حنبل: رجل صالح، ليس بقوي في الحديث.

قال البخاري: في حديثه مناكير.

قال ابن حجر: صدوق عابد، لكنه لين الحديث كثير الخطأ.

القاعدة الثانية: لا يُقبل تزكية من أخذ بمجرد الظاهر، فأطلق التزكية.

تساهل بعض لمتأخرين في إطلاق اسم الثقة على من لم يجرح مع ارتفاع اسم الجهالة عنه، وهذا يسمى مستور، ومحله الصدق، ويقال عنه شيخ. عند المتقدمين

مثال: (إبراهيم بن إسماعيل السلمي).

وقال أبو حاتم: مجهول، وذكره ابن حبان في (الثقات) وقال عنه: شيخ.

وقال ابن حجر: مجهول الحال.

القاعدة الثالثة: اذا خلا المجروح عن تعديل قبل الجرح مجملا غير مبين السبب،

إذا صدر من عارف بسباب الجرح ، لأنه إذا لم يكن فيه تعديل فهو في حيز المجهول، وإعمال قول المجرح أولى من إهماله.

مثال: (الربيع بن مطرق)

قال فيه الإمام يحيى بن معين:" كوفي ضعيف" .

قُبل جرح يحيى بن معين في الربيع وان لم يذكر السبب، لانه ناقد عارف باسباب الجرح، ولم يوجد فيه تعديل فهو في حيز المجهول، وإعمال قول المجرح أولى من إهماله.

للاستزادة راجع:

١- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي .

٢- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، للكنوي

٣- خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل، للعوني

٤- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي.

٥- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، للسخاوي

٦-علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، للزهراني